Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

حقيقة جمال الدين الأفغاني

كتبه بالفارسية ابن أخته
ميرزا لطف الله خان الأسدآبادى

ترجمه وقدّم له وعلق عليه
الدكتور عبد النعيم حسنين

أستاذ كرسى ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها
بكلية الآداب جامعة عين شمس
وعميد كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر (سابقاً)

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع
المنصورة – أمام كلية الطب
ت : ٣٢٧٤٢٣ – ص.ب : ٢٣٠

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

نهضت الدول الإسلامية نهضة قوية ملحوظة فى العصر الحديث ، وهى تسعى جاهدة إلى التحرر الكامل والرقى الشامل ، وتحاول دائبة أن تقود سفينتها إلى بر السلامة والمجد ، وتبذل كل ما فى وسعها لبلوغ العزة والسؤدد ، واسترجاع ماضيها التليد ، وحضارتها الراقية الفاضلة ، وترغب صادقة فى التجمع والتآلف للوقوف صفا واحداً فى وجه مؤامرات المستعمرين الطامعين والشيوعيين الملحدين ، والصهيونيين الكارهين الحاقدين .

وبلوغ هذا الهدف المنشود أمر ميسور إذا تمسك المسلمون بمبادئ دينهم ، وغيروا ما بأنفسهم ، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فبالإسلام عزوا وسادوا ، وبالبعد عن تعاليمه ، والتهاون فى تطبيق مبادئه ذلوا وهانوا ، وتلك سنة الله فى خلقه ، وهى سنة لا تتغير ولا تتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد بذل المصلحون المخلصون من أبناء الدول الإسلامية جهوداً طيبة فى الدعوة إلى التحرر والرقى والتجمع والتآخى من أجل التخلص من براثن الاستعمار وإحباط مؤامرات أعداء الإسلام والمسلمين حتى يتحقق للشعوب الإسلامية ما تصبو إليه من عزة ومجد وسؤدد ، وتسير على صراط الله المستقيم الذى يقودها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة .

لقد كان هؤلاء المصلحون المخلصون روادا قادوا شعوبهم فى طريق النجاة والفلاح ، مما يجعل الحديث عنهم والتعريف بهم وبجهادهم ضروريا فى كل وقت وحين ليستفيد الخلف من تجاربهم ، ويواصلوا السير فى طريقهم ، ويحققوا ما كانت تصبو إليه نفوسهم من أهداف نبيلة وغايات سامية ، ويعدوا ذلك أروع إحياء لذكراهم ، وخير تسجيل لأعمالهم ، وأعظم إشادة بمسعاهم .

والشئ الذى لا شك فيه أن جمال الدين المعروف بالأفغانى يعد من رواد الإصلاح ، فقد قضى حياته كلها داعيا إلى توحيد العالم الإسلامى ، وتحرير شعوبه من الاستعمار والاستغلال والغفلة والضياع ، ووفق إلى حد كبير فى دعوته الإصلاحية التى جعلته يزور كثيرا من الدول الإسلامية والشرقية والأوربية ، ويتصل بساستها وقادة الفكر فيها ، مما جعل اسمه يذيع ذيوعا عجيبا ، فصار يعد من المصلحين العالمين الذين حاولوا توجيه سير التاريخ ، وتغيير مجرى الحياة فى البلاد التى عاشوا فيها ، وكان هدفه الأسمى رقى الشعوب الإسلامية ، وارتفاع قدرها وعلو شأنها ، حتى يستعيد المسلمون أمجادهم القديمة ، ويقودوا ركب البشرية ، وتكون لهم حضارة زاهرة فاضلة ، تسعد بها الإنسانية فى الدنيا والآخرة .

وهذا – وحده – كاف لجعل الحديث عن جمال الدين ضروريا فى كل حين ، وجعل شخصيته جديرة بالدراسه فى تاريخ الشرق الحديث ، وما ظهر فيه من حركات إصلاحية ، ولهذا رأيت من المفيد أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة الدراسات التى تمت – حتى الآن – عن جمال الدين ودعوته الإصلاحية ، لأن شخصيته فيها جوانب مازالت فى حاجة إلى تسليط الضوء عليها ، لكشف الخفى منها ، حتى تتضح على حقيقتها ، فتتكامل المعلومات اللازمة عن هذا المصلح الكبير ، لأن الحقيقة العلمية هى غاية الدارسين .

وقد يسر الله لى فى أثناء عامين قضيتهما بكلية الآداب بجامعة طهران أن ألِمَّ بمعلومات جديدة عن جمال الدين وأن أزور مسقط رأسه أسد آباد بالقرب من همدان ، وأزور المدرسة الجمالية التى سميت باسمه فى هذه البلدة التى مازال أفراد أسرته يعيشون فيها ، كما عثرت على نسخة من الكتاب الذى ألفه – بالفارسية –

ميرزا لطف الله خان الأسد آبادى ابن أخت جمال الدين وضمنه معلومات مفيدة عن هذا المصلح الكبير الذى عرف فى الشرق والغرب بجمال الدين الأفغانى .

ورأيت واجبا على أن أنقل الكتاب المذكور إلى اللغة العربية حتى يطلع عليه كل من يعرف العربية ، ويلم بما فيه من معلومات تلقى ضوءا كاشفا على شخصية جمال الدين ، وتساعد على تقويم أعماله تقويما صحيحا ، وتزيد قدره رفعة ، ومقامه شموخاً ، جزاء لما بذله من تضحيات فى سبيل إنجاح دعوته الإصلاحية التى دفع حياته – فى النهاية – ثمنا لها كما يفعل المجاهدون المخلصون الذين يضحون بأرواحهم من أجل إسعاد غيرهم ، ورقى عالمهم الإسلامى ، بعد توحيد صفوف المسلمين .

وقد حاول جمال الدين الاستفادة من نبوغه وعبقريته فى الدعوة إلى الإصلاح على أساس دينى اجتماعى سياسى ، فزار عددا من الدول الإسلامية والشرقية والغربية ، مما يسر له الاطلاع على أحوال المسلمين عن قرب ، ودراستها دراسة واقعية ميدانية ، فهاله ما رآه من تفكك العالم الإسلامى وتخاذله ، بينما العالم الغربى المعادى للإسلام والمسلمين تشمله نهضة علمية قوية تجعله يتقدم بخطا واسعة فى طريق التطور الشامل ، والرقى المادى الواضح ، ويتطلع إلى العالم الإسلامى بعيون شرهة لا ترضى بغير التهامه بديلا .

وكانت شعلة النهضة الغربية المادية تحمل نارا ونورا ، نارا اكتوى بها العالم الإسلامى احتلالا واستغلالا ، ونورا خلب أنظار الضالين الحيارى من أبناء العالم الإسلامى ، فخدعوا بمظاهر الحضارة المادية الغربية ، وانقادوا لها ، وقلدوها تقليدا أعمى ، فاقتبسوا ما فيها من مفاسد فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فانحرفوا عن صراط الله المستقيم ، وضلوا ضلالا مبينا ، فازدادوا ضعفا وتخاذلا .

وقد هيأ هذا الفساد – الذى ظهر فى العالم الإسلامى – الجو المناسب لدعوة جمال الدين الإصلاحية ، فصادفت هوى فى نفوس الناس الراغبين فى الإصلاح والاستقامة على طريق الله فى البلاد الإسلامية المختلفة التى زارها ، فتقبلوها بقبول حسن ، وأنبتوها نباتا حسنا ، فآتت أكلها يقظة وعملا على تحرير

بلاد المسلمين من براثن المستعمرين وشباك المفسدين ، مما جعل الشعوب الإسلامية تنظر إلى جمال الدين نظرتها إلى المحرر المنقذ الذى يسعى جاهدا إلى تبديل ضعفها قوة وتفككها وحدة وتماسكا ، ويدفعها إلى الأخذ بأسباب القوة والازدهار والتقدم والاستقرار .

ولم يكن الطريق سويا سهلا أمام جمال الدين ، فلاقى فيه ما يلاقيه المصلحون – عادة – من ألوان العنت والاضطهاد ، غير أنه وفق بجلده وثباته ومثابرته إلى إيصال أفكاره ومبادئ دعوته الإصلاحية إلى العقول المتحررة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، فصار له تلاميذ فى كل قطر زاره ، وأصبح له معجبون فى هذه الأقطار الإسلامية ، حاولوا نشر آرائه ، وشرح أفكاره ، وتهيئة الأرض الصالحة لإنباتها ورعايتها حتى تؤتى أكلها بين الحين والحين بإذن ربها ، فينتفع بها المسلمون ، ويطبقها المصلحون ويستقيم بها المنحرفون والضالون .

فليس عجيبا أن نرى الشعوب الإسلامية تقدر جمال الدين ، وتعتز به ، وتعده من مفاخرها ، وملكا لها جميعا ، فتعنى بدراسته ، وتسعى إلى تسجيل أفكاره وآرائه ، وتحاول نشرها وإخراجها إلى حيز التنفيذ وتعمل على تمجيد ذكراه ، وترى فى هذا دليلا على يقظتها ، وبرهانا على حيويتها واستعدادها للسير فى طريق الرقى والازدهار .

وهكذا صار لزاما على الدارسين أن يكشفوا جوانب شخصية جمال الدين ، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، حتى تتضح الحقيقة العملية التى هى الغاية المنشودة للباحثين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت ألسنتهم وألوانهم .

وهذا هو الدافع الذى دفعنى إلى الإقدام على ترجمة كتاب لطف الله ابن أخت جمال الدين من الفارسية إلى العربية ، حتى أساعد الدارسين على كشف حقيقة جمال الدين المعروف بالأفغانى ، وإلقاء الضوء على جانب من جوانب شخصية هذا المصلح المشهور ، يتصل بأصله ونسبه ومذهبه الدينى ، لأضيف بذلك حلقة جديدة إلى سلسلة الدراسات الكثيرة المفيدة التى تتصل به ، وتدور حوله ، حتى تكون معرفة الناس بجمال الدين تامة وكاملة وتكون فكرتهم عنه

صحيحة ، فيكون حكمهم على أعماله منصفا ودقيقا ، وحتى تتضح جهوده وتضحياته ، فتُقدرَّ أعماله تقديرا صحيحا .

وقد ثبت لى بعد زيارة « أسد آباد » مسقط رأس جمال الدين والتعرف على الأحياء من أفراد أسرته ، وبعد ترجمة الكتاب الذى ألفه ابن أخته « لطف الله » وقراءة ودراسة ما نشر من رسائل جمال الدين أنه كان إيرانيا من أهل أسد آباد بالقرب من همدان ، وأنه كان شيعيا جعفرى المذهب[1] ، وهذه هى حقيقة ذلك المصلح الكبير ، الذى حاول إنقاذ العالم الإسلامى فى عصره من التفكك والضعف والاستعمار والاستغلال .

وما ثبت لى يغاير ما اشتهر من أمر جمال الدين ، فهو معروف بانتسابه إلى بلاد الأفغان ، وبأنه سنى المذهب ، وقد كان هو نفسه يحرص على تلقيب نفسه بالأفغانى ، كما كان يفضل الظهور فى صورة عالم من علماء أهل السنة فى البلاد الإسلامية المختلفة التى زارها – غير وطنه الأصلى إيران – وكان حرصه هذا لازما لإنجاح دعوته الإصلاحية ، ونشر أفكاره فى الدول الإسلامية الخاضعة لسلطان الدولة العثمانية ، مقر الخلافة الإسلامية .

وقد راج انتساب جمال الدين إلى بلاد الأفغان رواجا طاغيا غطى الحقيقة التى أثبتتها الدراسة العلمية المنصفة والأدلة المادية الملموسة الشاخصة .

وأحب أن أقول – هنا – إننى حين أكشف هذا الجانب من جوانب شخصية جمال الدين ، وأثبت ما أقرره بالأدلة الواضحة – التى لا تقبل شكا ولا جدلا – أننى – شخصيا – فوجئت بظهور هذه الحقيقة ، ولكنى رأيت أن

---

(١) المذهب الجعفرى : هو المذهب الرسمى فى إيران منذ بداية العصر الصفوى فقد أعلن الشاه إسماعيل الصفوى – مؤسس الدولة الصفوية الشيعية – المذهب الجعفرى مذهبا رسميا لإيران فى عام ٩٠٧هـ أى منذ خمسة قرون تقريبا ، ولا يزال هذا المذهب هو المذهب الرسمى فى إيران إلى يومنا هذا ، وهو منسوب إلى جعفر الصادق الإمام السادس عند الشيعة الإمامية .

والشيعة الإمامية هم الشيعة الأثنا عشرية الذين يعتقدون فى اثنى عشر إماما أولهم على بن أبى طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكرى وهو الإمام الغائب صاحب الزمان الذى ينتظره الشيعة ظهوره فى منتصف شعبان من كل عام (المترجم) .

من الواجب ذكرها ، لأن إثبات الحقيقة هو غاية ما يهدف إليه الدارسون – كما ذكرت – فليس لى من هدف من وراء ذكرها وإثباتها إلا خدمة العلم ، وتصحيح خطأ شائع متعارف بين الناس ، بلغ من الرواج درجة جعلته يطغى على الحقيقة .

ولا يؤثر إثبات حقيقة جمال الدين فى مكانته شيئا ، ولا يحط من قدره ذرة بل لعل ذكر حقيقته يرفع من مكانته ، ويزيد من قدره ، ويبين مدى النجاح الذى حققه فى دعوته الإصلاحية لتحقيق الوحدة الإسلامية برغم كونه شيعيا ، تعترض طريقه العوائق والعقبات وتحاك ضده المؤامرات .

والشئ الذى لاشك فيه أن شخصية جمال الدين ملك للأمم الإسلامية جميعا ، فسواء كان أفغانيا سنيا أم إيرانيا شيعيا ، فإنه مصلح إسلامى شرق ، وبطل من أبطال تحرير المسلمين والشرق ، يزهو به كل مسلم ويعتز به كل شرقى أيا كان موطنه .

ولا يضير هذا قطرا مسلما مجاهدا عزيزا كأفغانستان ، لأنها كانت هى وإيران دولة واحدة فى أكثر عصور التاريخ الإسلامى ، وهما تشتركان فى الدين وفى اللغة وفى كثير من ألوان التراث الإسلامى الذى يفتخر به المسلمون فى كل زمان ومكان على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ، وقد عاش فيهما كثير من علماء المسلمين فى مختلف العلوم والفنون ، ممن تفخر بهم الحضارة الإسلامية بخاصة ، وحضارة البشرية بعامة .

فلن يضير أى قطر إسلامى إثبات أصل جمال الدين ومذهبه مادامت الأقطار الإسلامية جميعها تعده ملكا لها ، وجزءا من مفاخرها ، بل إننى أعتقد أن الدارسين – أينما وجدوا – يرحبون بإثبات هذه الحقيقة وكشفها وتوضيحها وتحريها ، حتى تكون نتائج دراساتهم صحيحة مفيدة ، ذات قيمة علمية ملموسة ، والله الموفق والهادى إلى طريق الصواب .

وإن الأدلة التى تثبت أن جمال الدين إيرانى شيعى جعفرى المذهب كثيرة وقاطعة ، وسأكتفى بذكر أهمها فيما يلى :

أولا : وجود عائلة جمال الدين فى إيران وانعدام أى أثر لها فى أفغانستان .

من البديهيات أن عائلة الإنسان – أو جزءا منها على الأقل – توجد فى موطنه الأصلى ولو كان جمال الدين أفغانيا – كما هو معروف ومشهور – لبقيت عائلته – أو نفر منها فى أفغانستان ، ولوجد من يدعى القربى أو النسب والصلة بهذه العائلة الكريمة ، التى خرج منها مصلح كبير مشهور مثل جمال الدين ، لأن ثبوت الصلة بعائلة كهذه من دواعى الشرف والتفاخر .

فهل توجد فى أفغانستان بقية من عائلة جمال الدين ؟! .. الواقع أنه لايوجد أثر لهذه العائلة فى بلاد الأفغان ، وهذه حقيقة لاينكرها الأفغان أنفسهم ، بل إن منهم من يعترف بأن جمال الدين إيرانى شيعى المذهب – فى الحقيقة – ، فقد اعترف الأمير عنايت الله خان عم أمان الله خان ملك الأفغان الأسبق بأن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب بعد أن اقتنع بصحة هذا الأمر ، وقد حرص الأمير المذكور فى أثناء سفره من طهران إلى بغداد على النزول فى قرية أسد آباد بالقرب من همدان ، حيث ولد جمال الدين ، ومكث فى هذه القرية بعض الوقت ، اجتمع فى أثنائه ببعض أفراد أسرة جمال الدين الذين يعيشون فيها ، وتحدث معهم ، ثم زار قبور أجداد جمال الدين ، والدار التى ولد فيها ، ولم يغادر أسد آباد إلا بعد تأكده من أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، وقد رويت أنباء هذه الزيارة عن الأمير المذكور وأمرها معروف ، لا ينكره الأفغان أنفسهم ، مما يدل دلالة قاطعة على أن جمال الدين كان إيرانى الأصل ، شيعى المذهب ، وأن اشتهاره بالأفغانى كان من وسائل خدمة دعوته الإصلاحية وتيسير انتشار أفكاره فى الدول الإسلامية السنية .

إن وجود عائلة جمال الدين فى إيران دليل قوى على أنه إيرانى ومازال أفراد هذه العائلة يعيشون فى حى « سيدان »[1] بقرية أسد آباد بالقرب من همدان ،

(١) « سيدان » الجمع الفارسى لكلمة سيد أى « السادة » وهذه الكلمة من الألقاب الخاصة بالأشراف الذين ينتسبون إلى أسرة رسول الله – ﷺ – وقد كان نسب جمال الدين يتصل بالحسين بن على – رضى الله عنهما – ، ولذلك كان جمال الدين يحرص على أن يوقع على مقالاته باسم جمال الدين الحسينى (المترجم) .